جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

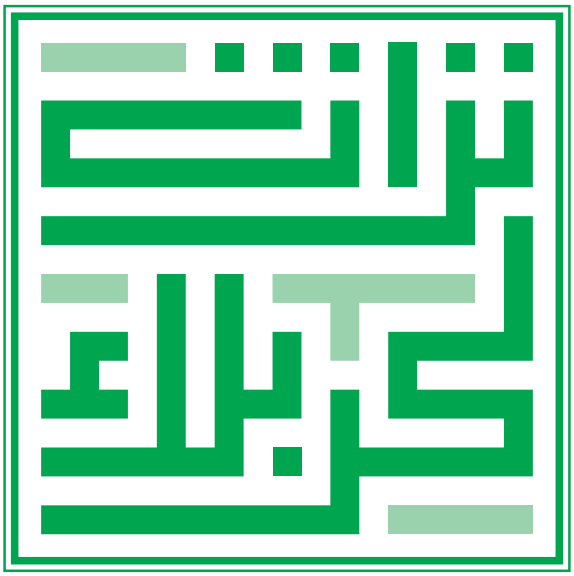

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

مركز تراث كربلاء

السنة الرابعة/ المجلّد الرابع/ العدد الثالث

شهر ذي الحجة المعظم ١٤٣٨هـ / أيلول ٢٠١٧م

المضامين الجهادية للثورة الحسينية في الشعر الكربلائي
شعر الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي أنموذجاً

The 'Jihadic ' Implications of Al- Husainy Revolution (Uprising) in the Karbala Poetry : The Poetry of Al-Sheikh Hadi Al- Khafajy as an Example

أ.د علي كاظم محمد علي المصلاوي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

Prof . Dr. Ali Khadhim Muhamma Ali Al- Maslawy

Karbala University / College of Education for Human sciences

Dept . of Arabic

Dr.Ali.Almaslawy@gmai.com

الملخص

مازال الشعراء يستلهمون كل ما هو سام وخالد من شخصية الإمام الحسين ﷺ العظيمة المتفردة بعطائها، ويظهرون مشاعرهم الجياشة اتجاهه واتجاه من ضحّى بين يديه من أهل بيته ﷺ وأصحابه الميامين الكرماء، وما جرى بعده على أهله وعياله من مرارة السبي والأسر.

فكان الشاعر يستلهم هذه الوقائع ويستحضرها ومعانيها السامية محاولًا المواساة الشعورية بإظهار الحزن والتفجع على ما أصابهم من ناحية ومن ناحية أخرى يتخذ ممّا جرى من أحداث ووقائع منهجًا عقائديًا في حياته العملية.

ومن هؤلاء الأعلام والشخصيات الكربلائية اللامعة في القرن المنصرم الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي، إذ تمثّلت معاني الجهاد ومضامينه في شعره الحسيني بمحاور أربعة.

Abstract

The poets are still inspired by all that is high and immortal of Imam Husain's (pbuh) eminent personality who is unique in his granting and sacrifice ; they express their hot feelings towards him and towards all his progeny and his followers and supporters who sacrificed for him and for Islam in addition to showing all the sufferings and captivity they suffered .

The poets were inspired by these events and they expressed their condolence and sorrow towards Imam Husain (pbuh) and his progeny in addition to the fact that such poets used and took such events as a motive and as a doctrinal route in their daily life .

Al- Sheikh Hadi Al- Kafajy Al- Karbalaiy was one of these brilliant personalities in the past century . In his Husainy poetry, the meanings and implications of Al- Jihad were represented and expressed through four pivots and sections

المقدّمة

الإمام الحسين عليه السلام ملهم الشعراء والأدباء بقضيته وما قدّمه في سبيل إحياء كلمة الحق ودحض كلمة الباطل الذي أزهقه بنهضته الإصلاحية المباركة، وجسَّد معانيَ عدّة كان أولاها مشروع السلم الذي يرافق الإصلاح في أمّة جدّه المصطفى عليه الصلاة والسلام، فهو القائل وقوله حق وصدق«**إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي**»[1]فهو لا يريد الحرب ولم يذهب باتجاهها، وإنّما أراد السلم الذي لا يكون إلّا عن طريق الإصلاح، ولكنَّه عليه السلام وجد في جهاده الأصغر والتضحية بنفسه ومن معه من ولده وإخوته وأصحابه عليهم السلام هو الطريق الأوحد لهذا السلم ولهذا الإصلاح الذي نشده، فكان بموقفه هذا نشيد الخلود الذي ما زال يقرأ ويتجدّد مع كل قراءة وفي كل وقت.

ومـازال الشعراء يستلهمون العِبرَة والعَبرة عن طريق إظهار مشاعرهم وانفعالاتهم الجياشة تجاه هذه الشخصية العظيمة المتفردة بعطائها، وتجاه من ضحّى بين يديه من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه الميامين الكرماء، ولم ينسَ الشاعر أن يستذكر حُـرَمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وما قاسين من محن بعد مقتله عليه السلام، فتجلّت زينب عليها السلام بطلة لهذه الواقعة من ناحية ومن ناحية أخرى مثَّلت امتداداً سلمياً جهادياً لمشروع أخيها الحسين عليه السلام.

فكان الشاعر يستلهم هذه الوقائع ويستحضرها ومعانيها السامية محاولاً المواساة الشعورية بإظهار الحزن والتفجّع على ما أصابهم من ناحية ومن ناحية أخرى يتخذ ممّا جرى من أحداث ووقائع منهجاً عقائدياً ليكون بذلك

مصداقاً لما جاء في زيارتهم: «**أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُم، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ**».[٢]

ومن هؤلاء الأعلام والشخصيات الكربلائية اللامعة في القرن المنصرم الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي المعروف والمشهور بخطابته ونعيه المتميّز لمصيبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام إذ كان يستدرّ الدمع للخروج من محاجر مستمعيه لتفيض العيون وتخشع القلوب وتتطهّر الأرواح وتسمو لترتفع محلِّقة في جو من النقاء الأخروي.

لقد زاول الشيخ نظم الشعر مع مزاولته الخطابة وإنْ كان اهتمامه بالخطابة أقوى وأشد وضوحاً وأرفع درجة إلّا أنَّ اهتمامه بالشعر لم يكن يقلّ كثيراً، فترك لنا ديواناً شعرياً حفل بأنواع من الموضوعات الشعرية التقليدية. ونظم على غير النظام العمودي للشعر العربي فأنتج لنا الموشَّحات والتخميس والتشطير والأراجيز.

وجاء هذا البحث ليستكشف المضامين الجهادية للثورة الحسينية عن طريق شعره الذي خصَّ به الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى عياله من قتل وسبي.

وتمثَّلت معاني الجهاد بمحاور أربعة: الأوّل: غائية النهضة الحسينية، الثاني: شجاعة الحسين عليه السلام وصبره يوم عاشوراء. الثالث: زينب عليها السلام والامتداد الجهادي. الرابع: بنية القصيدة وعلاقتها بالمضامين الجهادية.

وسبق هذه المباحث تمهيد خصَّ التعريف بالشيخ هادي الخفاجي الكربلائي، وتبعها خاتمة بالنتائج التي توصّلت لها الدراسة.

التمهيد :

١ – التعريف بالشاعر :

هو الشيخ هادي بن الشيخ صالح بن مهدي بن حمزة بن خليل بن درويش من بيت (عجام) الذي ينتسب إلى قبيلة خفاجة العريقة ومنها جاء لقبه بالخفاجي [٣].

ولد في بغداد في محلّة الشيخ بشار في دار جده لأُمّه سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٨ م[٤] وقيل ١٩٠٩ م[٥].

كان والده شيخاً فاضلاً ومعتمداً لعددٍ من المراجع العظام أبرزهم السيد إسماعيل الصدر الكبير[٦]، وكان يعمل كاسباً، وفي وقت فراغه معلّماً للصبية شاغلاً لهذا الأمر غرفة في داره التي كان يقطنها في المسيب [٧]، وكان من الوجهاء المعروفين فيها [٨]، فنشأ الشيخ هادي هناك نشأةً صالحة، وأخذ والده بتعليمه القراءة والكتابة وتهيئته لمزاولة الخطابة بعدما بدر منه استعداد كبير لتعلّم هذا الفن منذ نعومة أظفاره؛ ولما غدا شاباً يافعاً قرر أن يستكمل أدواته الخطابية والمعرفية فاتجه – بتشجيع من والده – إلى كربلاء إذ كانت يوم ذاك مركزاً من مراكز الإشعاع الفكري لا في العراق فحسب، بل في العالم الإسلامي أجمع، نشطت فيها المدارس ودور القرآن الكريم والحديث النبوي، ولمع فيها جهابذة أعلام وشعراء عظام كان لهم الدور الكبير في انتعاشها علمياً ودينياً وأدبياً [٩].

وحلَّ الشيخ طالباً مقيماً في إحدى مدارسها الدينية وهي المدرسة المهدية [١٠] التي ضمّت مجموعة من الأساتذة الأكفاء كالشيخ عبد الحسين الدارمي[١١] والشيخ العيثان الأحسائي [١٢]، والشيخ عبد الحميد الساعدي والشيخ محمد شمس الدين والشيخ حسين البيضاني[١٣]. وقد أخذ عنهم الشيخ علوم العربية

والفقه والأصول كما أخذ من غيرهم من العلماء كالعلّامة الفقيه محمد الخطيب صاحب مدرسة الخطيب الرسمية في كربلاء، والشيخ محمد العماري الذي قرأ عليه شيخنا شرح قطر الندى وألفيّة ابن مالك [١٤].

أمّا الخطابة وفنونها فطلبها يوم ذاك على الشيخ محسن أبي الحب الصغير[١٥] والسيد كاظم السيد جواد الهندي [١٦]، واشتهر تأثره بالأوّل كثيراً وأخذه عنه أساليب الخطابة وأطوار النعي والتأثير في المتلقّين [١٧]

وأدّى تعليمه وتلمذته إلى صقل موهبتيه الخطابية والشعرية اللتين بدأتا بالازدهار والإيناع والتدفّق، ونجد أولى قصائده سنة ١٣٥٠ هـ [١٨] أي عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره.

لقد شقّ الشاعر طريقه بأسلوب هادئ وأداء رائع، متجاوزاً العقبات بصبره وجَلَده وقوّة إرادته وإيمانه العميق بمبدأ التعبير عن القضية الحسينية التي سخَّر لها خطابته ومن ثمّ شعره وقضى حياته في سبيل إعلائها وإظهارها بحُلل لم تعرف إلَّا على يديه، فلُقّب بشيخ الخطباء [١٩] وفارس المنبر الحسيني [٢٠]، ووُصِف بأنّه صوت الحزن ومرفأ الدمعة [٢١]، وغير ذلك من الألقاب التي دلَّت على عظم شأنه وما كان عليه من عطاء.

وتخلَّق شيخنا الجليل ﵀ بأخلاق أهل البيت ﷺ إذ كانوا له نبراساً وقدوة، فوصف بأنَّه «نقي السريرة، طيب السيرة، لطيف المحضر، سمح بأقواله، عزيز في مادته، وكان مشهوراً بالتقى والورع، ديّناً صالحاً، متواضعاً، كيّساً، طريفاً» [٢٢].

ووصف أيضاً بأنّه «لطيف المعشر، عذب المؤانسة، حلو المجالسة، يريك سحر البيان حلالاً، ولا يمل الحضَّار مجلسه» [٢٣].

أمّا ما يتعلق بديوانه فقد كان مخطوطاً محفوظاً في خزانة عائلته ؛حرص نجلاه الشيخ علاء الدين والشيخ بهاء على إظهاره للنور، فكان ذلك سنة ٢٠٠٣ م وقد حوى الديوان شعراً فصيحاً وكان جلَّه، وشعراً شعبياً وآخر فارسياً وكان أقلّه، ووقع في مائتين وثلاثٍ وستين صفحة من القَطْع المتوسّط، صدر عن مؤسّسة البلاغ دار سلوني في بيروت.

وقد حوى الديوان أغراضاً شعرية عدة، تصدّرها الرثاء لمجموعة من الشخصيات الدينية والخطابية والاجتماعية التي عاصرها رحمه الله، وتلا الرثاء قصائد الطفيات و المصاحبة لها ونقصد بها تلك الأشعار التي رثى بها الحسين ومن معه في واقعة الطف الأليمة [٢٤]، ثمّ جاء المديح لمجموعة من الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية، ثمّ شعر المناسبات وتلاه ما يمكن أن نسمّيه بـ(اللافتات) وهي أشعاره التي كان يُطلب منه نظمها لتكون شعاراً لموكب أو هيأة أو حسينية أو تجعل على سقاية ماء وغير ذلك ممّا كان يُطلب منه فيجيب.

وفضلاً عن القصيدة والمقطوعة فإنّنا نجد الموشحة والأرجوزة والتخميس والتشطير في ديوانه، ممّا يدل على تمكّنه من الأداء في الموضوعات المتعددة والأشكال المتنوعة.

أما وفاته رحمه الله فكانت عصر يوم الأحد الموافق ٤/ ١/ ١٩٩٢م-١٤١٢ هـ[٢٥] عن عمر ناهز الثمانين قضاه في خدمة الحسين عليه السلام وقضيّته، باذلاً كل ما استطاعه في سبيل ذلك متعرضاً لأذى الظالمين ومضايقاتهم في ذلك الوقت العصيب الذي استطاع أن ينجو منه بحفظ من الله تعالى، وبما امتلك من حذق وذكاء استطاع أن يُبعد أعين الظالمين عنه وينجو من شرهم [٢٦].

وكان يرجو طوال حياته في خدمة الحسين عليه السلام أن ينال شفاعته يوم الورود، حتى آخر لحظات حياته كان يلهج بقوله مخاطباً الحسين عليه السلام[٢٧]:

ما زال يلهج في عزاك لساني حاشاك في يوم الجزا تنساني
يا بن النبي المصطفى ووصيه وابن البتولة خيرة النسوان

حاشاك في يوم الجزا تنساني

وكان يرجو أيضاً أن يدفن في صحن الحسين عليه السلام أو صحن أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وذلك في أبيات أرسلها إلى مدير أوقاف كربلاء يوم ذاك السيد عبد الشهيد الحمامي قال فيها[٢٨]:

إن حلَّ بي يا بن الكرام حِمامي فاخبر بذاك السيد الحمّامي
فلعلَّ دفني أن يكون بسعيه في صحن سيدي الحسين إمامي
أو صحن مولانا أبي الفضل الذي أرجو شفاعته بيوم قيامي

ولكنّ هذا الأمر لم يحصل بسبب منع الدفن في الصحنين الشريفين لارتفاع المياه الجوفية فيهما، فدفن في مقبرة كربلاء الجديدة بعد تشييع مهيب حضره جمع من العلماء والأدباء والشعراء والخطباء وجماهير غفيرة من أهالي مدينته التي مازالت محتفية بصوره وأشعاره ومجالسه الحسينية كلّما تجدّد ذكر الحسين عليه السلام ومصيبته في كل عام.

أرّخْ وفاته مجموعة من الشعراء كان أبرزهم الشاعر الكربلائي الكبير محمد زمان الكربلائي إذ قال[٢٩]:

أرّخ لك النعيم بالعباد طوبى لشيخ الخطباء هادي

فرحمك الله يا شيخنا وأنالك شفاعة الحسين عليه السلام يوم الورود، ولا أخمد ذكرك على مرِّ الدهور.

المحور الأوّل:

غائية النهضة الحسينية

نجد للشاعر مقطوعةً شعريةً مهمّة أوضح فيها غائية نهضة الحسين عليه السلام وما فيها من معانٍ جهادية عدَّة وهي قوله: (٣٠)

لَمْ يُقتَلِ المَوْلى الحُسَينُ بِكَربَلا ... عَطشان مَعْ أصحابه وبَنِيهِ
لَمْ يُقتَلِ المَوْلى الشَّهيدُ لأجلِ أنْ ... نبكي عليهِ وإنَّنا نرثِيهِ
مِنْ بَعدِما أنْ قدْ بكاهُ مُحمَّدٌ ... وعليٌّ والزهرا غَدَت تبكيهِ
وبَكاهُ جِبريلٌ بيوم ولادِهِ ... وكذاكَ فُطرسُ قد بكى يحكيهِ
وكَذاكَ آدمُ والمَلائِكُ في السَّما ... حُزنَاً عليهِ ودَمعها تُجريهِ
قُتِلَ الحُسَيْنُ بكَربلاءَ لأجلِ أنْ ... يُحيي مَواقِفَ جَدِّهِ وَذَويهِ
ولأجلِ أنْ نُمضي أوامِرَ دِينِنا ... ونُطيعَ خالِقَنا ولا نَعصِيهِ
قُتِلَ الحُسَيْنُ لكي يؤلِّفَ أمَّةً ... تَرَكَتْ شَريعَةَ جَدِّه وأبيهِ
يا مسلمين فلا نكُنْ مِنْ أُمَّةٍ ... بِنِفاقِنا وشِقاقِنا نُؤذيهِ
فإذا عَصَينا ربَّنا ونَبِيّنا ... فهُناك لا نبكي ولا نبكيهِ

لقد أوضح الشاعر عبر هذه المقطوعة رؤيته العقائدية في قضية الحسين عليه السلام مستعملاً أسلوب النفي بـ(لم) محاولاً عبره إشراك المتلقّي زارعاً في نفسه التشوق لمعرفة ما يريد إثباته، فالحسين عليه السلام لم يقتل مع أصحابه وبنيه في أرض كربلاء من أجل الدمع والبكاء والرثاء وحده، على الرغم من أنَّ البكاء عليه حق مشروع، فقد بكاه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة عليهما السلام يوم ولادته وكذلك الملكان جبريل وفطرس عليهما السلام، ثمّ يوسع الشاعر الدائرة أكثر ليعمم الأمر فيخبرنا أنَّ النبي آدم عليه السلام والملائكة جميعهم بكوه حزناً ودمعاً، ولكنَّ قضية الحسين عليه السلام لم تكن للبكاء

والحزن فحسب، ليثبت بعد ذلك جواب النفي الذي قدّمه وهو أنّ الحسين قتل من أجل إحياء سنّة جده المصطفى وامتداده الرسالي من بعده، وهذا الأمر استوحاه الشاعر من موقف الحسين نفسه حين أعلن أن خروجه الجهادي لم يكن أشراً ولا بطراً وإنّما كان لإصلاح هذه الأمّة، ثمَّ يذهب الشاعر إلى أنَّ الإصلاح لا يكون لنا إلا بالالتزام بأوامر الدين ونواهيه وإطاعة الله طاعة حقيقية من دون معصية. ثمّ يستدرك الشاعر سبباً آخر قد استوحاه من مقولة الحسين عليه السلام أيضاً وهي أنَّ الحسين أراد أن يؤلّف الأمّة الإسلامية ويوحِّدها بعدما وجدها تاركة شريعة جدّه وأبيه عليهما السلام.

ثمَّ يوجه الشاعر خطابه ونـداءه الى المسلمين كافة داعياً إياهم إلى الطريق الصحيح المستقيم لنبذ الخلافات والتوحّد، وترك النفاق والشقاق، فهذا ما يؤذي رسولنا الكريم، فإذا كان العصيان للربّ ولنبيه ورسوله فإنّنا والحال هذه لا نبكي الحسين عليه السلام ولا نبكيه أي ندعو لمثل ما دعا إليه من تآلف وتوحُّد.

والشاعر عبر هذه المقطوعة يريد أن يوصل لنا رسالة إصلاحية مفادها: أنّ الحسين عليه السلام ضحّى بنفسه وعياله وأصحابه من أجل أن نكون أمّة صالحة متمسكة بالله وبدين الإسلام وبما جاء به نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله، وأساس ذلك العمل الصالح، وعدم المعصية، ونبذ الفرقة والتعصب، وإحلال الوئام محل النفاق والشقاق، وبهذا سيكون بكاؤنا عليه وحزننا من أجل وحدتنا وتمسّكنا بما جاء به جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

والحسين عليه السلام على وفق هذه النظرة مصدر للسلم والأمان لهذه الأمّة جمعاء، فالحسين ليس حكراً على فئة من المسلمين شأنه في ذلك شأن جدّه بعثه الله تعالى للناس كافة، ومن ثمَّ فرسالة الحسين هي امتداد لمشروع السلم الذي أسّسه جدّه

وسار عليه أبوه علي وأخوه الحسن عليهم السلام جميعاً، وكانوا فداء لهذه الأمّة ومصلحين وناصحين لها في كل مواقفهم الحياتية.

على أنّ هذا الإصلاح للنفس أوّلاً وللمجتمع ثانياً لا يكون حتى يجاهد الإنسان نفسه ويصلحها كذلك المجتمع، فـ (**إنّ الله لا يغيرّ ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم**)، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله جهاد النفس بالجهاد الأكبر دليلاً على عظمة وصعوبة تحقيقه فللنفس أهواؤها و تسويلاتها وللإنسان شيطان يوسوس له و يغويه.

المحور الثاني:

شجاعة الحسين عليه السلام وصبره يوم عاشوراء

من المضامين الجهادية التي نستشفها من أشعار الشيخ في الحسين عليه السلام هي شجاعته عليه السلام يوم عاشوراء ورفضه وإباؤه مبايعة يزيد فنراه يقول:(٣١)

فأبى السِّبطُ شاهِراً لِحُسامٍ ... فيهِ يَسقي العِدى شراباً حميما
مُرهَفٌ فيهِ قد أبادَ الأعادي ... وعلى الكافرينَ صَبَّ الجَحيما
ما سطا باسِماً على الخيلِ إلا ... تَركَ الشُوسَ في الرُّغامِ رَميما
بعدما شادَ للهُدى ما تداعى ... ووفى للإلهِ عَهداً قديما

ونجده في أخرى يذكر فداء الحسين وتضحيته الكبرى بنفسه وعياله فيقول:(٣٢)

فهوَ في الطَفِّ غِياثٌ ... رَحْمَةٌ للعالمين
ذاك سِبطُ الطُّهرِ طه ... عَبرَةٌ للمُؤمنين
مَنْ بيومِ الطَفِّ فَرداً ... كَمْ حمى حَوْزَة دِين
بذويهِ ونِساهُ ... ثُمَّ في قَطْعِ الوتين

ثم يستذكر الشاعر ذلك اليوم الأليم الذي وقف فيه الحسين عليه السلام وحيداً فريداً محتسباً صابراً من دون معين:(٣٣)

لَستُ أنساهُ يُنادي ... مُفرَداً هَلْ مِنْ مُعِين
لِيَذُبَّ اليَوْمَ عنّا ... مِنْ طُغاةِ المُشركين

ثمَّ يستشعر الشاعر خطر ذلك اليوم وعظمه على الحسين عليه السلام وهو بتلك الحال فيتمنّى لو فداه :

ما رأى السِّبطُ مُجيباً ... ليتني أفدي الحُسَيْن

إنَّ تصوير الحسين ﷺ وحيداً مفرداً ليس له من معين ولا ناصر متأتٍّ من إحساس الشاعر بالتقصير إزاء عدم نصرة الحسين ﷺ في ذلك الموقف فبودِّ الشاعر لو فدى الحسين وكان ممّن نصروه في ذلك اليوم الأليم وجاهد معه أفضل الجهاد. على أنَّ الشاعر يعلم أنَّه ليس الوحيد الذي يملك هذا الإحساس، وهذا الشعور فكل العاشقين لأبي عبد الله يرومون أن يفدوه بكل غالٍ ونفيس بل يفدوه بأرواحهم، ومن شأن هذه الصور أن تلهب مشاعر الجمهور وبخاصة إذا ما رُدِّدت وكُرّرت على الأسماع في محافل العزاء.

ثمَّ يواصل عرض موقف الحسين البطولي الجهادي في ذلك اليوم بقوله: (٣٤)

عِـنـدَهـا نـادى بِـصَـوتٍ تَـرَكَ الـكَـوْنَ حَـزيـن
هـذهِ نَـفـسـي لِـديـنِ الـ ـمُـصـطَـفـى جـدّي الأمـيـن
وحُـمـاتـي ثُـمَّ وِلـدِي ثُـمَّ أهـلـي الـطـيّـبـيـن

إنّها التضحية الخالدة وتقديم القرابين الجهادية في سبيل الإسلام وسنَّة جدِّه المصطفى ﷺ وقد تجلّى الصبر الحسيني بكل أبعاده في هذا المصاب الأليم الذي لا يتحمّله إلّا الإنسان المؤمن بأنَّ الآخرة هي مصير الصابرين والمحتسبين.

إنَّ عرض الشاعر لهذا المضمون الجهادي الحسيني عن طريق وصفه شجاعة الإمام الحسين ﷺ في ذلك اليوم العصيب الذي بقى فيه وحيداً صابراً بعدما قدَّم القرابين من أهل بيته وأصحابه ﷺ لكفيل بأن يدفع السامع ليثور على الظالمين وأن يجاهدهم حتى لو كلَّفه ذلك حياته ومن قبل أبنائه وأصحابه بل وكل شيء عزيز عليه كما حدث مع الإمام الحسين ﷺ، والصبر على الجهاد وما يستلزمه من شجاعة وتضحية هو عنوان الثورة الحسينية وتجلّياتها يوم عاشوراء.

المحور الثالث:

زينب عليها السلام والامتداد الجهاديّ

ومن المضامين الجهادية التي استحضرها الشاعر في أشعاره الحسينية ذكره نساء الحسين عليه السلام وأهل بيته وحالهنّ في تلك الواقعة وعلى الخصوص موقف السيدة زينب عليها السلام ممّا جرى وحدث على صعيد كربلاء فنراه يقول واصفاً الحسين عليه السلام وقد أقبلن أخواته ونساؤه معزّيات لاطمات وقد درن عليه :(٣٥)

وعليه درن صوارخاً ونوا دباً ولنعيها قد ذاب صمُّ الجلمد

ثمَّ يميز منهن زينب عليها السلام فيصفها بقوله :(٣٦)

وأشدّها حرقاً عقيلة حيدر تدعو أخاها السبط من قلب صد

ثمَّ ينقل تساؤلاتها الحائرة وقد وجهتها إلى أخيها: (٣٧)

من بعد فقدك يا حمانا ملجأ للحائرات واليتامى الفقد
من ذا ترى يحمي حماها إن غدت من ضرب أعداها تدافع باليد
من بعدكم قد عيل صبري وانفنى عمري لرزئكم وبان تجلّدي
هل كيف سلواني وخيل بني الشقا تعلو صدوركم تروح وتغتدي

إنّها تساؤلات الأخت الحائرة المفجوعة بأخيها وبباقي أحبتها الذين سقطوا واحداً تلو الآخر ولم يبقَ من يحميها ويحمي باقي النساء المخدرات من بنات الرسالة. ويعيد الشيخ هذا المشهد بتساؤلات وأحداث مؤلمة أخرى فيقول : (٣٨)

وهنا زينب نادت يا بن أمي يا حسين
هجم القوم علينا من شقيٍّ ولعين

إن تكن حيّاً أجرنا من طغاة مشركين
أحرقوا الخدر وأبكوا من بنيكم كلّ عين

فالمتلقّي يظل في دوامة الأحداث المؤلمة التي حلَّت بزينب وببنات الرسالة، فتثير فيه الغيرة والحمية وفي الوقت نفسه الألم والحزن لأنَّه لم يستطع نصرة إمامه ولا الذبَّ عن حرمه وعياله. ولعل مثل هذه الصور من تأثيرات أسلوبه الخطابي الذي يلجأ إليه الشخص لإثارة المتلقّي بشتى الانفعالات والصور كيما تؤثر فيه وتزيد من حزنه وألمه وبكائه على أهل البيت عليهم السلام بشكل عام ليصل إلى مرحلة التطهير من الذنوب والخطايا بالتوسل بهم إلى الله تعالى ونيل شفاعتهم يوم الورود.

ولا شكّ في أنّ موقف بنات الرسالة وعلى الخصوص زينب عليها وعليهم سلام الله مثَّل موقفاً جهادياً بصبرها واحتسابها على ما جرى عليها وعلى أخيها الحسين وأولادها وإخوتها الباقين، وهذا ما صوّره الشاعر بصورة درامية مؤثرة.

المحور الرابع:

بنية القصيدة وعلاقتها بالمضامين الجهادية

حين النظر إلى طريقة بناء الشاعر لقصيدته واعتنائه بإخراجها وربط مفاصلها وشدِّ بعضها ببعض والتي تمثِّل قصديَّة تتساوق مع المضامين التي يطرحها في قصيدته، نجد أنَّ القصيدة الموجهة للحسين عليه السلام تشتمل على بعد آخر هو التأثير بالمتلقّي أثناء القصيدة وبعد انتهائه من إلقائها، إذ يخلِّف ردوداً يستشرفها الشاعر ويطمح إلى زرعها في نفس المتلقّي ووجدانه لأطول مدَّة ممكنة.

فنجد بعضاً من خواتيم قصائده متصلاً بموضوع القصيدة وضمن تسلسلها الموضوعي متناسباً مع مجريات الأحداث التي حدثت في واقعة الطف وتسلسلها، من ذلك ختامه لإحداها بقوله: (٣٩)

ولأجـــلِ الـــدِّيـــنِ هـــذي زَيـــنَـــبٌ تُـــبـــدِي الـحَـنـيـن
فـــي نِـــســـاءٍ نـــادِبـــاتٍ حَـــــوْلَ آســـــادِ الـــعَـــرِيـــن

وفي أخرى يختمها بقوله على لسان حال زينب عليها السلام مخاطبة أخاها الحسين عليه السلام: (٤٠)

وهُـــنـــا زَيْـــنَـــبُ نَـــادت يـــا بـــن أمِّـــي يـــا حُـسَـيـن
هَـــجَـــمَ الـــقـــوْمُ عـلـيـنـا مِـــنْ شَـــقِـــيٍّ وَلَـــعِـــيـن
إن تَـــكُـــنْ حَـــيَّـــاً أجِـــرْنـــا مِـــن طُـــغـــاةٍ مُـشـركـيـن
أحـــرَقُـــوا الـــخِـــدْرَ وأبـكَـوْا مِـــنَ بـنـيـكُـم كُـــلَّ عـيـن

وكذلك فعل الشاعر في ختام طفية أخرى مستعملاً أسلوب النداء إذ نادت زينب عليها السلام أخاها الحسين عليه السلام بقولها:(٤١)

يا أخي من ترى يَذودُ الأعادي بَعدَكمُ مَن ترى يُحامي اليتيما؟

إنَّ هذه النهايات المفتوحة أو المتصلة بموضوعها تجعل المتلقّي في حزن ووجوم، يعصره الألم لما حلَّ بالحسين عليه السلام وأهل بيته ممّا يستدعي أن يغضب أشدَّ الغضب على من فعل هذه الفعلة النكراء المشينة في أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة، وأن يتخذ منهم موقفاً رافضاً لاعناً أعمالهم المشينة التي اقترفوها بعمد وإصرار؛ ولا ريب في أنّ هذا الأمر يمثِّل موقفاً جهادياً أوصله الشاعر إلى متلقيه وجعله ينفعل به مثلما انفعل هو، وتمثَّل ذلك برفض الظلم بالقلب واللسان ليتحول إلى رفض باليد والقوة، وهو ما دعا إليه الشاعر عبر أشعاره وكذلك خطابته المعروفة ومواقفه الحياتية الأخرى ممّا جعله تحت عيون وأنظار الناصبين العداء لأهل البيت عليهم السلام حتى أخريات حياته. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن القول إنَّ الشاعر أراد أن يُبقي متلقيه و لا يخرجه من أجواء عاشوراء وأحداثها حتى تظل ماثلة أمام عينيه وكأنَّها تحدث أمامه وكأنَّ الطف لم ولن ينتهي ما دمنا أحياء، وفي هذا الأمر أيضاً نستشف معنى جهادياً وهو أنَّ من الضرورة للإنسان المسلم العقائدي أنْ يجعل واقعة كربلاء أمام عينيه ليستلهم منها العبر ولتكون معينة له في جهاده مع نفسه ومع تفاصيل حياته الأخرى.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في المضامين الجهادية للنهضة الحسينية في شعر الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي نقطف الثمار الآتية:

١. كان الشعر بالنسبة للشيخ مكملاً لرسالته العقائدية التي كانت واضحة ومعروفة في خطابته ومكملاً أيضاً للأخلاقيات الإسلامية التي دعا إليها الرسولُ وأهلُ بيته الطيبون الطاهرون عليهم السلام جميعاً.

٢. مثَّل الشعر دفقاً عاطفياً مضافاً لنتاج الشيخ في التعبير عن قضايا اجتماعية وإنسانية ودينية.

٣. مثَّلت شجاعة الحسين عليه السلام إحدى المضامين الجهادية التي صوّرها الشاعر واهتمّ بها، فمقارعة الأعداء ومقاتلتهم هي جهاد أصغر حاول الشاعر عبره أن يبدي مشاركته الجهادية حين صرَّح بتمنّيه مشاركة الجهاد مع الحسين وأن يقدِّم نفسه ويفديه مثلما فعل أصحاب الحسين عليه السلام، وكان صوت الشاعر صوتاً جماعياً ألهب متلقيه ودفعهم إلى مشاركة الحسين ولو كان ذلك شعورياً.

٤. الحسين عليه السلام على وفق نظرة الشاعر مصدر للسلم والأمان لهذه الأمّة، ورسالته هي امتداد لمشروع جدّه وأبيه عليهما السلام من قبلُ، ولا يتحقق هذا المشروع إلّا عن طريق الجهاد الأكبر أي إصلاح النفس ومحاسبتها وتوجيهها بالوجهة الصحيحة.

٥. عرض الشاعر موقف بنات الرسالة وعلى وجه الخصوص زينب عليها السلام بصورة مؤثّرة نستشفُّ عبره موقفاً جهادياً مثلته زينب عليها السلام بصبرها واحتسابها

على ما جرى عليها وعلى أخيها الحسين وأولادها وإخوتها الباقين.

٦. أراد الشاعر عن طريق خواتيم قصائده وأشعاره الخاصة بالحسين عليه السلام التي جاء بها متصلة بموضوعها الرئيس وهو واقعة الطف وما جرى فيها من قتل وسبي أن يبقي متلقيه و لا يخرجه من أجواء عاشوراء وأحداثها حتى تظل ماثلة أمام عينيه وكأنّها تحدث أمامه وكأنَّ الطف لم ولن ينتهي ما دمنا أحياء، وفي هذا الأمر نستشفّ معنى جهادياً وهو ان من الضرورة للإنسان المسلم العقائدي ان يجعل حادثة كربلاء ووقعتها أمام عينيه ليستلهم منها العبر ولتكون معينة له في جهاده مع نفسه ومع تفاصيل حياته الأخرى.

٧. حاول الشاعر عبر المضامين الجهادية أن يرسم لنا صورة الإنسان المسلم الذي يأتمر بأمر الله تعالى ويطلب رضاه، وأن الطريق الأسلم والحقيقي هو طريق الحسين عليه السلام..

وأخيراً يمكننا القول:

إنَّ الشيخ هادي رحمه الله حاول أن يكون إنساناً طفّيَّاً بكل أبعاده الاجتماعية والعقائدية والدينية وكان كذلك بحق، فحياته وخطابته وشعره فيض من عطاء تلك الواقعة الأليمة التي تشرّبت بدمه ولحمه وعظامه، لذا كان تأثيره في متلقيه خطابياً يشهد له ونسيج أشعاره بمختلف موضوعاته تفوح منه رائحة عبقة هي رائحة الطف وما جرى فيها، فلم يكن منا إلّا أن نحترم إنسان تلك الأشعار وندعو له بالجزاء الكبير والثناء الجميل الأخروي الذي طالما دعا به وناشد الله أن يؤتيه إياه من خلال توسله بأئمته الأطهار عليهم السلام وبابهم الواسعة الحسين عليه السلام.

الهوامش:

١. بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٢٩.

٢. المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦١.

٣. شجرة بيت عجام ؛ جمع وترتيب: عبد الحسين محمد علي حسين علي عجام، وينظر: البيوتات الأدبية في كربلاء: ٥١٣، والفقيد في سطور ضمن كتاب: ذكرى خطيب كربلاء الحاج الشيخ هادي الشيخ صالح الخفاجي: ١٣.

٤. الفقيد في سطور ضمن كتاب: ذكرى خطيب كربلاء: ٠١٣ ومعجم الخطباء:٢ / ١٢٨. ومعجم الشعراء الشعبيين في كربلاء: ٤١.

٥. البيوتات الأدبية في كربلاء: ٥١٣، ومعجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ٢٥٧.

٦. هو السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين العاملي الأصفهاني أحد العلماء المجتهدين في عصره، اشتهر بغزارة علمه وجلالة قدره، وسموّ منزلته في العلم و الفضل، اتخذ كربلاء دار إقامته فاستوطنها وأصبح مرجعاً للأمور الشرعية فيها. توفّي سنة ١٣٣٨ هـ.تنظر ترجمته في: تراث كربلاء: ٢٩٢ ٢٩٤، و معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ٢٦.

٧. المسيب: بلدة تقع شمال مدينة كربلاء تبعد عنها ٣٠ كيلو متراً يمر بها الفرات؛ وقد لقّب الشيخ أيضاً بالمسيباوي نسبة لها وقيل للتفريق بينه وبين خطيب آخر يحمل الاسم نفسه ذكر ذلك صاحب معجم الخطباء: ١٢٨؛ على أن هذا اللقب لم يشتهر عن الشيخ ولربما كان قبل أن يذيع صيته ويشتهر.

٨. زودني بهذه المعلومات نجل المترجم له الشيخ بهاء في لقائي معه عصر يوم الخميس الموافق ٢\١٢٦ \ ٢٠٠٩ م (كربلاء المقدّسة).

٩. ينظر: ما أقسى القدر، ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء :٢٣، وينظر في هذا الأمر تراث كربلاء: ٢٢٦ ٢٣٠، وتاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٢٧٥-٢٨٧.

١٠. نقل لي هذه المعلومة نجل المترجم له الشيخ بهاء، وذكر أنَّ والده عندما كان يمر على (المدرسة المهدية) يشير إلى غرفته التي كان يقطنها عندما كان طالباً فيها. ولعلَّ هذا الأمر يناقض ما ورد في مقالة الفقيد في سطور ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء:١٣، وكذلك في معجم الخطباء: ١٢٨، ومعجم الشعراء الشعبيين في كربلاء: ٤١، من أنّ الشيخ قد درس في مدرسة (الصدر الأعظم) والمدرسة (الزينبية) ومدرسة (الخطيب)؛ ويمكن إزالة هذا التناقض إذا علمنا بحّرية الطالب في التنقل بين المدارس الدينية بحسب اختياره للأساتذة الذين يدرسونه هذه المادة أو تلك، فلا يمنع من إقامته في مدرسة ما ودراسته لهذه المادة أو تلك على يد مدرس(شيخ) في مدرسة أخرى.

١١. هو الشيخ عبد الحسين بن محمد الدارمي العماري شاعر لبيب، و مدرس فاضل، تولّى التدريس في المدرسة المهدية ومدرسة الخطيب الدينية. ولد سنة ١٩٠٨ م وتوفّي في سنة ١٩٦٦م. تنظر ترجمته في معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ١١٧.

١٢. هو الشيخ علي بن الشيخ محمد عيثان الأحسائي كان في كربلاء عالماً فاضلاً ومدرساً ورعاً تقياً، توفّي في حدود سنة ١٣٩٠ هـ. تنظر ترجمته في معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ١٥٦.

١٣. ينظر: تراث كربلاء: ٢٠٥، وتاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٢٨٤.

١٤. الفقيد في سطور ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء: ١٣. ومعجم الخطباء:٢ / ١٢٨، ومن ملف الشيخ هادي الكربلائي، مجلّة الفجر، العدد السادس : ٢٠.

١٥. هو الشيخ محسن بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ محسن المعروف بأبي الحب الصغير الحويزي ولد في كربلاء يوم وفاة جدّه محسن أبي الحب الكبير ١٨٨٧ م، ودرس على يد والده وعلماء كربلاء، فكان شاعراً خطيباً معروفاً في العراق وخارجه، تميز شعره بالحس الوطني، توفّي ١٩٩٤ م.تنظر ترجمته في أدب الطف: ٩ / ٣٣٣، ومعجم الشعراء العراقيين: ٢٠٢، وموسوعة أعلام العراق في القرن العشرين : ١ / ١٨٠.

١٦. البيوتات الأدبية في كربلاء: ٥١٣.

١٧. ينظر: م. ن و الفقيد في سطور ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء: ١٣، ومعجم الخطباء: ٢ / ١٢٨ ومعجم الشعراء الشعبيين في كربلاء: ٤١.

١٨. ينظر ديوان الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي: ٤٠.

١٩. ذكرى خطيب كربلاء – مقدّمة الناشر: ١٠.

٢٠. قراءة نقدية في طفيات الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي، مجلّة الفجر، العدد السادس: ١٩.

٢١. ذكرى خطيب كربلاء غلاف الكتاب. ومن ملف الشيخ هادي الكربلائي، مجلّة الفجر العدد السادس: ٢١، وقد نسبها صاحب المقال للخطيب الشهير الشيخ عبد الحميد المهاجر.

٢٢. ما أقسى القدر ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء: ٢٤.

٢٣. الفقيد في سطور ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء:١٤.

٢٤. ينظر كتاب الطفيات المقولة والإجراء النقدي لصاحب البحث.

٢٥. الفقيد في سطور ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء:١٤، ومعجم الخطباء: ٢ / ١٢٩، وشيخ الخطباء ضمن مجلة الفجر العدد السادس: ١٧.

٢٦. ينظر في هذا الأمر: محاولة اغتياله ضمن مجلّة الفجر العدد السادس: ٢٠.

٢٧. يوم الفاجعة ضمن كتاب ذكرى خطيب كربلاء:١٦.

٢٨. ديوان الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي: ١٣٦.

٢٩. ذكرى خطيب كربلاء:١١.

٣٠. ديوانه: ٥٨-٥٩.

٣١. م.ن:٤٦.

٣٢. م.ن:٥٧.

٣٣. م.ن.

٣٤. م.ن:٥٨.

٣٥. م.ن: ٤٠.

٣٦. م.ن: ٤١.

٣٧. م.ن، والصفحة نفسها

٣٨. م.ن:٥٩-٦٠.

٣٩. م.ن:٥٨.

٤٠. م.ن:٥٩-٦٠.

٤١. م.ن:٤٧.

المصادر و المراجع

١. أدب الطف، أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأوّل الهجري حتى القرن الرابع عشر، جواد شبَّر، ط١، مؤسّسة التاريخ، بيروت، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣. البيوتات الأدبية في كربلاء، موسى إبراهيم الكرباسي، ساعدت نقابة المعلمين المركزية على طبعه، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٤. تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، نور الدين الشاهرودي، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤١٠هـ ١٩٩٠ م.

٥. تراث كربلاء، سلمان هادي آل طعمة، ط٢، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٦. ديوان الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي، جمع قصائده نجله الشيخ علاء الدين الكربلائي، مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٧. ذكرى خطيب كربلاء الحاج الشيخ هادي الشيخ صالح الخفاجي حملت واجهة الكتاب صورة للشيخ كتب في أعلاها: العبور إلى جهة القلب، وأسفلها: هادي الكربلائي صوت الحزن و مرفأ الدمعة، بقلم نخبة من أدباء كربلاء، دار الكتاب و العترة، بيروت ١٩٩٢ م ١٤١٣ هـ، د.ط.

٨. الطفيات المقولة والإجراء النقدي، ط١، صادرة عن العتبة الحسينية/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية تحت رقم(٧١)، والمطبوع في مطابع مؤسّسة

الأعلمي للمطبوعات بيروت، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٩. قراءة نقدية في طفيات الشيخ هادي الخفاجي الكربلائي، علي كاظم المصلاوي، مجلّة الفجر، العدد السادس.
١٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
١١. معجم الخطباء، داخل السيد حسن، ط١، المؤسّسة العالمية للطباعة و النشر، بيروت، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١٢. معجم الشعراء الشعبيين في كربلاء، طه الربيعي و إبراهيم العامري، ط١، منشورات مكتبة الحكمة، كربلاء، ٢٠٠٥ م.
١٣. معجم رجال الفكر و الأدب في كربلاء، سلمان هادي آل طعمة ، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٤. موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٨م.

المشجر و اللقاء

١. شجرة بيت عجام ؛ جمع وترتيب : عبد الحسين محمد علي حسين علي عجام، وهي مشجر أطلعني عليه نجل المترجم له الشيخ بهاء الكربلائي، وهو محفوظ في خزانته.
٢. لقاء مع نجل المترجم له الشيخ بهاء الكربلائي عصر يوم الخميس الموافق ٢٠٠٩\٢\٢٦ م (كربلاء المقدّسة).